الأب إلياس زحلاوي يقدم الأزمة السورية في الاتحاد الأوروبي

مقاربتي تظهر القدرة الكامنة غير المتوقعة في مقاومة سورية للحرب عليها

الوطن

إنه ذلك الوطني المتجذر في سوريته، سورية هويته، العقيدة يومه ووعيه، ولا ينفك يبحث عن الفرح بجوقته وبلا جوقة، يهيم بترنيمة، ويعانق السحاب بترتيلة، وينتشي بنشيد مديح نبوي، فاختار الشريك واختاره، اطمأن إليه وطمأنه لا لشيء، إلا لأنه ينطلق من فكر ووعي ثاقبين، فهو رجل فكر قبل أن يكون رجل لاهوت، وهو مع الله قبل أن يخاطب الناس، لذلك كان وعيه نبيلاً وكان أباً ومثقفاً وفناناً وصانعاً للموهبة، وصاقلاً للحب أينما وجد.

الأب إلياس زحلاوي ارتبط اسمه بالأبوّة، وطار اسمه بالفكر، وأتقن اللغة فترجم ما يستحق الترجمة دفاعاً عن سوريته، لم يعتكف للاهوت، لأنه آمن بأن حب الوطن عبادة، ولا يتوقف عن الاستشهاد (الله محبة).

حمل رسالته، دافع عن هويته، وفي كل مكان يحتاج الكبار كان إلياس زحلاوي أباً وخطيباً ومدافعاً عن هويته الأغلى سورية، ولم ينسق يوماً وراء أمر يتعارض مع هويته، وها هو في الاتحاد الأوروبي يستضاف فيتحدث باسم سورية، ويدافع عن سوريته دفاعاً علمياً، ويعرض لمشرقيته عرضاً مشرقاً، ويظهر شركاءه أفضل ما يكون الإظهار، لأنه سوري الصميم والفكر والروح.

وكما كان قبل سنوات وقف سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية، سماحة الدكتور أحمد بدر الدين حسون فبهر العالم بسوريته وفكره، كذلك كان الأب إلياس زحلاوي صاحب رسالة وعقيدة، صاحب هم وطني وقومي... جابه الأوروبيين وفند أخطاءهم تجاه سورية، ورد مزاعمهم ليكون صوت سورية الصادح.

و«الوطن» التي رأت في هذا الحديث علامة مهمة تقوم بنشره كاملاً ليبقى وثيقة بين أيدي السوريين، ليطلعوا على فكر هذا الأب والمفكر والسوري الوطني النبيل.

كاهن مسيحي يقول لكم: بأيديكم خلقتم عالمين إسلاميين لا علاقة للإسلام بهما

أيها السيدات والسادة!

إن الأزمة السورية قد أثارت، وتثير، وستثير أسئلة، في حدّها الأدنى، مزعجة.

هي، أولاً، أسئلة حول شرعية هذه الحرب الكونية على سورية.

وهي، ثانياً، أسئلة حول الرهانات، السياسية والاقتصادية، الظاهرة والخفية، من هذه الحرب.

وهي، ثالثاً، أسئلة حول النهايات المحتملة والقادمة، على الصعيدين الإقليمي والدولي، لهذه الحرب.

وقد رأيت من جهتي، أنا الكاهن العربي الكاثوليكي، سليل الجماعة المسيحية الأولى في سورية، أن أقترح عليكم، بوصفي مواطناً سورياً، ومواطناً عالمياً في آن واحد، مقاربتي الشخصية لأحد الأسباب العميقة، الكامنة وراء المقاومة غير المتوقّعة، التي واجهت بها سورية هذه الحرب، ولاسيما أن هذه المقاومة بعينها هي التي جلبت لسورية، كما تعرفون، مساندة غير مشروطة من حلفاء مثل روسيا وإيران، كانوا يعرفون أن المصير ذاته يتهدّدهم، لو كانت سورية قد سقطت.

وطوال ما يقرب من سبع سنوات، كانت وسائل إعلامكم المهيمنة، تنهال عليكم، ليلاً ونهاراً، «بيقينيّات» لا تقبل النقاش، منها أن الحرب في سورية، حرب أهلية، ومنها أيضاً أن النظام الحاكم فيها، دكتاتورية تذبح شعبها دونما عقاب.

أيها السيدات والسادة!

ألا يذكّركم كل ذلك بالسيناريوهات التي استُخدِمت من أجل تدمير العراق، وفيما بعد ليبيا؟

وكان أن اجتاحت الغرب كلّه، هبّة من النخوة، قادتها الولايات المتحدة داخل هيئة الأمم المتحدة، وانتهت إلى إعلان الحرب على سورية، من قبل /١٤٠/ دولة ليس إلاّ، وإلى فرض حصار غير مسبوق عليها، على الصعيد العسكري والاقتصادي والمالي.

ولكن إزاء الفشل في تطبيق مبدأ التدخل الدولي «الإنساني»، الذي يعود الفضل في ابتكاره إلى السيد «برنار كوشنر»، تدفّق مئات الألوف من «الجهاديين» الإسلاميين على سورية، وقد كان تمّ اختيارهم، كما تعرفون، من قرابة مئة دولة، بعضها من أوروبا، وبعضها من أميركا، كما كان تمّ تسليحهم، وتدريبهم، وتمويلهم، وأخيراً توجيههم، بل قيادتهم من نخبة من رجال أقوى الشبكات الاستخباراتية في العالم.

وتدفّقوا إلى سورية في موجات متلاحقة، طوال سنوات وسنوات، بقصد تحقيق الديمقراطية فيها، كما قيل، والدفاع عن حقوق الإنسان!

ولقد كان رصيد هذه المغامرة البائسة، وفق تقديرات الأمم المتحدة، على الصعيد البشري الصرف:

١- من أصل ٢٤ مليون إنسان يقطنون في سورية، بات نصفهم بالضبط هائماً على الطرقات، داخل سورية، وعلى امتداد الأرض، وفي البحار.

٢- ٤٠٠,٠٠٠ قتيل، بغض النظر عن أي انتماء ديني أو اجتماعي، أو عن أي عمر.

٣- مئات الألوف من المعاقين.

٤- عشرات الألوف من المفقودين.

ومع ذلك، فإن الدولة السورية قد صمدت، ورئيسها قد صمد، وجيشها قد صمد، وشعبها قد صمد، ومؤسّساتها الحكومية، بجميع أقسامها، قد صمدت، وهيئاتها الدبلوماسية قد صمدت، وصروحها الجامعية والمدرسية، من حكومية وخاصة على حد سواء، قد صمدت، فيما جميع موظّفيها، العاملين منهم والمتقاعدين، حتى من كان منهم في المناطق التي حاصرها «الجهاديون» من القاعدة والنصرة وداعش وأخواتها، لا يزالون حتى اليوم يتلقّون مرتّباتهم.

إزاء هذا الواقع الميداني، الذي لا يمكن إنكاره، تجرّأ أحد أفضل العارفين بالأزمة السورية، وهو السيد «ميشل رامبو»، تجرّأ، وقال «إن كل ذلك يلامس المعجزة».

إن كان ثمة معجزة أم لا، فلنعترف بأن مقاومة سورية هذه، غير المتوقعة، قد أثارت الكثير من التساؤلات، وخلخلت الكثير من «اليقينيّات» التي كانت تُعدّ «صحيحة سياسياً».

باختصار، أن هذه المقاومة تقتضي دونما أي تأخير، جهوداً نزيهة في سبيل أبحاث دؤوبة وشجاعة، بعيداً عن أي حساب تافه، أو عصبية. ذلك بأنكم كلكم مدعوّون لفهم سرّ هذه التربة البشرية الصرف، تربة سورية العميقة، التي تفسّر وحدها ما يبدو لكم مستحيل التفسير في هذه المقاومة بالذات.

عبقرية المسلمين ابتكرت في الفتوحات نمطاً للعيش مع المسيحيين

أيها السيدات والسادة!

ثقوا بأن ذلك الأمر يعنيكم إلى أقصى حدّ، إذ عليه يتوقف، كما يبدو لي، مستقبل لا الغرب وحسب، بل البشرية كلّها أيضاً.

دعوني أعترف لكم، أنني لولا هذه الضرورة، لما كنتُ سمحت لنفسي بالمجيء إلى هنا، نظراً لارتيابي الشديد من الغرب كله، مجتمعاً وكنيسة على حدّ سواء.

وفي الحقيقة يجب علينا جميعاً، نحن سكان هذا الكوكب الرائع، أن نستخلص العبرة، على نحو ملح وقاطع، قبل فوات الأوان.

وأياً كان استياؤكم أو دهشتكم من هذا التأكيد الحاسم، فإنه يجب عليّ، بوصفي كاهناً يعيش في مجتمع عربي، ذي أغلبية مسلمة، ويعتقد أنه يعرف المسلمين وتاريخهم، معرفة جيدة، أن أقول لكم، إنكم أنتم الغربيون، قد خلقتم – في وعي منكم، أو في غير وعي – خلقتم بأيديكم، على نحو تام، وفي الغرب كله، عالَمَين مسلمَين، ليس لهما في الواقع أي علاقة بالإسلام.

إن أول هذين العالَمَين، يشتمل على التجمّعات المسلمة، التي لا تُحصى، والمنتشرة في الغرب كله، تلك التجمّعات التي استخدمتموها طوال عشرات السنين، في إنجاز الأعمال التي كان مواطنوكم يأنفون من إنجازها. والحال أن أغلبيتهم العظمى ظلّت تعيش حتى اليوم على هامش المجتمع، داخل مجتمعاتكم، فيما يثقلها شعور بالنقص، يُخشى أن يتحوّل فجأة إلى حقد متفجّر جارف. ولقد خبرتم حتى الآن، نماذج مقلقة من هذا الحقد.

أما ثاني هذين العالَمَين، فإنه يشمل مجموعات «الجهاديين»، التي لا حصر لها، والتي خُيّل إليكم أنه يسعكم خلقها واستخدامها في ما يدمّر «الآخرين»، بينما ظننتم أنفسكم بمنأى من أي مفاجأة مقلقة، وقد راهنتم فقط على ما كنتم تظنّونها شبكات دفاعية لديكم، لا تستطيع أية قوة أن تخترقها. ولكن سرعان ما خاب ظنّكم!

وقد تسألونني: فما هو إذاً الإسلام؟

سيداتي، سادتي!

هنا، اسمحوا لي بدعوتكم لقراءة موضوعية لتاريخ الفتوحات الإسلامية الأولى:

دمشق عام ٦٣٥
القدس عام ٦٣٨
مصر عام ٦٤١
الأندلس عام ٧١١

في جميع هذه الفتوحات دون استثناء، تفتّقت عبقرية المسلمين عن ابتكار نمط من العيش مع مسيحيّي البلدان المفتوحة، لم يعرف مثله قط أي فاتح، لا قبل ظهور الإسلام، ولا بعده. ولقد أنتج هذا النمط الجديد من التعامل، عيشاً مشتركاً قام على تعاون حقيقي مع السكان، في احترام لكنائسهم، وأديرتهم، ومساكنهم، وممتلكاتهم، وأعمالهم، وكل ذلك مقابل ضريبة تبيّن أنها كانت دون ما كان المسيحيّون البيزنطيّون يفرضونه عليهم. ناهيكم عن أشكال الظلم والعنف، التي كان البيزنطيون «الأرثوذكس»، يمارسونها دون هوادة، بحق سكان هذه البلدان، «غير الأرثوذكس»، والذين انتهى بهم الأمر إلى اعتبار الفاتح العربي غير المسيحي، بمثابة محرّر!

ولسوف ألوم نفسي، إن لم أُشِر إلى أن هذا العيش المشترك والمدهش، قد أتاح بصورة خاصة، لجميع سكان هذه البلدان المفتوحة من مسلمين، ومسيحيّين، ويهود على السواء، أن يعيشوا معاً، ويعملوا معاً، بل أن يتعاونوا في نطاق قمة الإدارة في الخلافة.

وخلال القرون التالية، تعمّق هذا العيش المشترك، واغتنى... بحيث كان عدد من المفكرين العرب المسيحيّين في القرن التاسع عشر، هم الذين أبدعوا فكرة القومية العربية، كما أن عدداً آخر قد أصبحوا في القرن العشرين، مؤسّسين وقادةً لبعض الأحزاب السياسية المؤثّرة، في مصر وسورية ولبنان وفلسطين.

وإن هذا العيش المشترك بالذات، هو الذي يشكّل عمق النسيج القوي في المجتمع السوري، وهو الذي يفسر أحد الأسباب العميقة لصموده طوال قرون، على الرغم من جميع الاضطرابات التي عصفت بهذا المجتمع حتى اليوم. فليس لإعصار، بالغاً ما بلغت قوّته ومدّته، أن يقتلع غابة من العيش المشترك، قضت /١٤٠٠/ سنة، تضرب جذورها في عمق أرض طيبة. تلك هي سورية اليوم.

إن كان يخامركم، إزاء مثل هذه التأكيدات، أدنى شك، فاسمحوا لي بأن أُحيلكم إلى المؤرخين اليهود، وحتى الإسرائيليّين، دون سواهم. ولن أذكر لكم منهم سوى ثلاثة، وكلّهم مؤرّخون معاصرون.

أوّلهم، وهو إسرائيلي، يدعى «آبا ايبان»، في كتاب له بعنوان «شعبي».

ثانيهم، هو الحاخام الفرنسي «جوزي آيزربرغ»، في كتاب له بعنوان «تاريخ لليهود».

وثالثهم، أميركي، يدعى «ابراهام ليون زاخار»، في كتابه الموسوعي، «تاريخ اليهود».

أجل، أيها الأصدقاء، أمام الغرب اليوم، الكثير ممّا يجب عليه أن يتعلّمه حتى من الإسلام الفاتح، كي ينقذ نفسه من الإسلام الذي خلقه أولاً داخل مجتمعاته، ومن ثم على نطاق العالم.

إن التاريخ يعلّمنا أن القيمة الحقيقية لكل إنسان، ومجتمع، وشعب، ودين، تتجلّى يوم يكون في ذروة قوّته.

أفيكون من المهين جداً، الاعتراف بأن الإسلام، يوم كان في ذروة قوته، قد نجح من خلال مؤمنيه، حيث فشلت المسيحيّة فشلاً ذريعاً من خلال مؤمنيها؟

فالغرب اليوم، كل الغرب دون استثناء، بالغاً ما بلغت قوّته، في أمس الحاجة إلى إعادة نظره بسرعة، في سياساته كلها، داخل حدوده، وخارجها على امتداد العالم.

أجل، أقول اليوم، وليس غداً، لأن الغد يخبّئ، كما يخشى الكثيرون، كارثة كونية، تُعَدّ في غطرسة عمياء، وهي كارثة سوف تبدو إزاءها الحرب العالمية الثانية، لعبة أطفال!

دعوني في ختام كلمتي، أروِ لكم واقعة حديثة، ذات دلالة كبيرة، وقد جرت يوم ٢٧ أيلول (سبتمبر) من عام ٢٠٠١.

في هذا اليوم، أقيمت، لأول مرة في دمشق، أمسية مشتركة من الترانيم الدينية، أحيتها جوقة كنسية، كنت قد أسّستُها عام ١٩٧٧، وجوقة منشدي مسجد بني أمية الشهير.

أقيمت هذه الأمسية في باحة كاتدرائية الروم الكاثوليك بدمشق. وكان الجمهور كثيفاً، وعلى رأسه أساقفة وكهنة، وشيوخ مسلمون.

وكان بين أبرز الحضور، رجالات «الترويكا الأوروبية»، التي كان يرأسها السيد «خافيير سولانا»، وكان أحد أعضائها وزير خارجية بلجيكا آنذاك، السيد «لوي ميشيل».

وكان برفقة الوفد الأوروبي، بعثة تلفزيونية بلجيكية، كان اسم مراسلها السيد «جوزيف مارتان».

وكانت «الترويكا» الأوروبية في عجلة من أمرها، بسبب التزاماتها الأخرى، فلم تمكث سوى عشرين دقيقة فقط. ولما همّت بمغادرة باحة الكاتدرائية، بادر السيد «جوزيف مارتان» للإدلاء بتقريره الصحفي أمام المصور البلجيكي. وقد سمعتُه جيداً، إذ كنت واقفاً بقربه، فانغرست في ذاكرتي كلمة له، أرجو أن تستمعوا إليها جيداً. قال:

«كان على «برلوسكوني». بدل أن يشتم العالم العربي، ويحتقر الحضارة الإسلامية، أن يأتي إلى هنا، ليردم هوّة جهله».

سيداتي، سادتي،

شكراً.

نخوة عربية قادتها أميركا انتهت إلى إعلان الحرب على سورية

ميشيل رامبو تجرأ فوصف ما يجري في سورية بأنه يلامس المعجزة

نافذة

دنيا ودين

الافتراض المنطقي يشير إلى أنهما يمثلان التنوير للحياة البشرية، وألا يتجاوزا حدودها، لكون الدنيا وجدت حاضنةً لكل شيء، بما فيها الأديان، وتقاسمت الدول دنيانا، كما تقاسمت الأديان قلوب البشر، وسياسة كل دولة ترسم مسارات حضور أبنائها ومنهجها رأسمالية اشتراكية علمانية، بتدرجات من الإيمان العلمي بالمطلق، إلى مزج العلمي بالغيبي.

للعلم لم يُظهر التاريخ الحديث أي حكم ديني، أي إنَّ الحكومات برمتها علمانية، وهي التي تقود الأديان، وأفعالها تشير إلى أنها كانت ومازالت رئيسة فاعلة في مقارعات الحروب والفساد وانزياح سواد البشر عن ثقافة العدالة والحق، وذهابهم إلى التجاوزات الهائلة والمرعبة التي تغطيها كثيراً الإدارات الدينية وفتاواها القادمة، من ناطقيها إلى المتعلقين بها، وحتى اللحظة ما إن يخطب رجل دين، حتى تلتئم حوله الجموع، بينما لا يقف أحد مع الثقافة وحركة الفكر والفلسفة، وإن كان من يقف مازال ضمن ندرة الندرة، ولذلك أصارح قائلاً: لقد اقترب كثيراً زمن انكشاف المشروع الديني أمام حركة التطور العلمي والعالمي الهائلة، وبدأنا نلحظ تدهوراً مهماً في علاقتها بمريديها الذين يستثمرون الدين، من دون الأخذ بمبادئه وقيمه السمحة، والسبب التعليم والخلط بين حالتي الدين والدنيا اللتين تمثلان علاقة جدلية.

لم تفتأ الحوارات عن تناول تينكما، وهل يجتمعان أم لا؟ والنقاشات ضمن مجتمعاتنا مازالت مستمرةً منذ بدء الحراك الديني الذي لم ينقطع عن الصراع مع الحراك الدنيوي، ووصل البعض لتقسيم اليوم إلى ثلاث منظومات؛ ثلث للعمل، وثلث للعبادة والأمل، وثلث للمتع بالجمال والشراب والغزل، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك مختصراً قائلاً: ساعة للرب مُقدسة، وساعة للجيب محفزة، وساعة للمجون تنهي الشجون مُسعدة، لا يهم فيها إن كانت مدنّسة، أو تقترب بحلولها من الضرورات المحدثة، وهؤلاء فهموا الدنيا، وأدركوا أنَّ الآخرة ثانوية وأخروية، سواء أكانوا من الساسة الكبار ومديري الحياة باقتدار، أم من فاقدي طعم لذاتها من العامة اللاهثين وراء الآخرة لوعدها لهم بالخلود والحور العين، وجنان فيها ما لذَّ وطاب من خمر وعسل ولبن ورمان وتين يمكثون فيها آبدين، لذلك وجب عليهم أن يتنازلوا عن لذائذ الدنيا، وأن يترفعوا ويسموا على مادياتها، يستثمرهم الخاصة وخاصة الخاصة، كل على هواه متى يشأ، ومن حين إلى حين.

ما حال اليوم الديني الذي حمل في لغة ظهوره أنه ينبوع البساطة والتواضع وحركة النشاط والإبداع للأرض والوطن والإنسان؟ يبدو أن سنة التطور قبلت جميع المعادلات، ليغدو الدين اليوم الأساس الثابت الذي تبنى عليه الدنيا الروحية، من دون منازع، لماذا؟ وما المسافة بين دور العبادة ودور الثقافة ومراسم الفن والجمال، أي بين الدين والدنيا؟ وكيف بنا نختصرها ونجعلهما متداخلين، وندفع بهما للإيمان ببعضهما؟ فلا ضير في أن تكون المساجد مراكز إشعاع علمي وحضاري، وألا تقتصر مكتباتها على المصاحف والفقه والسنة؛ بل أن تشمل صنوف العلوم والإبداع والفنون والعمارة كافة، كما هو حال المكتبات الحاملة لمختلف صنوف الحياة، بما فيها الديني.

كيف بنا نتعبد بعيداً من العلم والبحث عن التطور وممارسة الأنشطة الاجتماعية؟ كيف بنا ننهي التشدد الديني والتعصب تجاه ثقافات الآخر؟ وإذا كانت الدنيا تمثل العلم والثقافة والحضارة؛ فهل يكتفي الدين بأن يكون عبادة وآخرة وقيامة؟

كيف بنا نعزز المواطنة ودور المواطن في البناء والتطور؟ هل وصلت هذه اللغة إلى القائمين على إدارة شؤون الدين؟ أم إنهم ليسوا أكثر من حاملي رايات، ينادون باسم الله ورسله وخلفائه وأمرائه، ومن تحتها تبدو أهدافهم الدنيوية من طبيعة الإنسان الغريزية، وأن كل هذه الظهورات الدينية ليست إلا أشكالاً خارجية، تتخذ ذرائع لبلوغ المآرب والغايات؟ لقد أوشك أن يصبح اسم الله على ألسنتهم أداةً للأذى والكذب والنفاق والضحك على الذقون الطيبة واللحى المجمَّلة بالطيب والحناء.

لنعلم أن الإنسان يظل موجوداً بظله الإنساني، مادام أنه طالبٌ للعلم، وعندما يظن أنه علم، يكون قد غلبه الجهل، واعتلاه الغرور نتاج قوله: إنني راض عن نفسي وفكري، وهذا ما يأخذه إلى خسران الدنيا، ومعه يَذهب ما يعتقد به في ثمانينات القرن الماضي، حيث وصلت أوروبا إلى ذروة الإباحية، وبدأت شعوبها تنسحب من الدين، هربت من القيود الدينية والضرائب الكنسية إلى اللادينية.

كيف تصرَّف رجال الدين الأوروبيون؟ بحثوا علمياً عن طرق إعادة مريديهم، ووجدوا في تطوير فايروس الإيدز الخامل والموجود في ماء العين، دفعوا كثيراً من المال، وطوروا الفايروس ضمن منظومة الحروب البيولوجية، وانتشر بين الجميع انتشار النار في الهشيم، فهاد الشعب إليهم، حتى على مستوى القبلة، قبل أن تحدث وجب الحصول على التحليل وبهذا يساعدون دولهم على الاستمرار لا للانفلات، ورجالات الدين لدينا يتحدثون في الغيبي عن عذابات القبر وجحيم جهنم، وكم كتبت عن أيها الناس لا جحيم لكم، إلا إذا صنعتم جحيمكم بأنفسكم؛ أي راكمتم أخطاءكم التي تتحول إلى جحيم.

كيف بنا لا ندرك حقائق الدنيا، ونعمل لها بالحب والإخلاص؟ فنكون عندها مؤمنين بأننا نستحقها، وتستحقنا، لا متدينين مشخصنين للعلاقة بيننا وبين الإله، من دون الالتفات إلى الحياة المالكة لدنيانا، والموجود فيها الآخر الذي يحتاجنا بقدر ما نحتاجه.

لنتفكر بأنَّ أجدى علم هو ذاك الذي يدعو إلى التفكر فيما نحن عليه، وإخراج الحلول لمجتمعاتنا المصابة بالعقم الفكري، أو يمنع عنها التفكير، ومن يسع إلى عمل شريف لا يعدّ فاشلاً، وإن أخفق، فهل فكر رجالات الدين الإسلامي، وهم يفتتحون صباح مساء مساجد ومدارس شرعية، ويبنون الدعاة، ويزيدون في المريدين، أن يتجهوا إلى مريديهم، ويدخلوا إلى أفكارهم علوم الجمال وفنونه السبعة؟ هل فكروا بفرد تعاليم الفلسفة والاستفادة من حضورها كعلم مطوّر للحياة؟ هل نعود إلى فهم الوحي والتأمل، وأنه لا يحدث إلا من بوابات العلم الإبداعي، لا العلم التعليمي؟ أم إنهم مصرون على نظم الفقه والسنّة والحديث؟

الذي نزرعه نحصده وما بينهما تابعوا معي آليات البناء، نبني الشكل ونزيد في الأدوار الوظيفية بلا علمية، فنحصد الخوف والنفاق والفساد بدلاً من الإبداع والاختراع والإيمان بالإنتاج وإعلاء شأن الوطن والأمة الذي لا يتم إلا بالعلم والإيمان به، فوحده العلم يوصلنا إلى ماهية الله وإدراك جلاله وقيمة وقوة وحدة وجوده مع الإنسان، مع الحياة الحية.

لذلك أجد أنَّ تطوير الأفكار الدينية وفتح باب الاجتهاد العلمي في الدين غدا أكثر من ضرورة وحاجة ماسة، كي ينعكس على تطوير الدنيا، وكل تلك الأفكار التي اعتنقتها الشعوب الإسلامية والعربية البسيطة أصبحت بحاجة ماسة لمناقشتها، بعدما اقتربت – وكما تحدثت– من الانكشاف، ونحن هنا لا ندعي بأنها لا تحمل مبادئ سامية، إنما ندعو إلى تطوير المعنى الذي يستحق أمام حركة اتساع العقل، فتح بواباته، وقلت سابقاً: كلما اتسع العقل اتسع الكون، وتكاثفت الأفكار، فهل نلتقطها أو نأخذ بعضاً منها، ونفرده على طاولات البحث من أجل الدنيا أولاً التي تأخذ بنا لفهم حركة الدين والإيمان، ومن ثمّ يصبح على الناس كافة فهم حركة الآخرة وآليات الانتقال فيها.

طبعاً قدمت الدنيا على الدين، لأنها الأصل والسابقة له، كما هو حال الأخلاق، حيث الدين بند من بنودها، وهي سابقة عليه، وإنه من الضروري تعزيز دور الدنيا، لأنها البناء والحياة وتوجيه الدين للإسهام فيها.

د. نبيل طعمة